

# Sorma Khanem and the Nestorian Patriarchate the Years of Loss and the Horrors of War 1883-1918

Ali Talib Obead Al- Sultany

Al- Imam Al- Kadhim / College for Islamk Scinece / Pabylon Parts

[Alialsultany1970@gmail.com](mailto:Alialsultany1970@gmail.com)

Submission date: 25/2/2019

Acceptance date: 16/4/2019

Publication date: 5/5 /2019

## Abstract

This woman was known assumra or surmah and in the well- known the house of the marashmayoun family whose sous were allowy to sit on the patriarchal throne of the church of the east for sereral centuries and then this is the adequate of the bitterness of his stallicbeaple the casualty of the original evangelical tissue the are illustrated by adesberate people of his future befor world war the nesatorianhristians were independent led pyatribal tribal system under authority Chaldean Assyrian this woman once blayedaninfluential role in the civili of nation that had its past civilijatian and value.

**Key words:** Baakoba Comps, Subjective judgment, Belief

## سورما خانم والبطيركية النسطورية سنوات الضياع وويلات الحرب

١٨٨٣ — ١٩١٨

علي طالب عبيد السلطاني

كلية الإمام الكاظم "عليه السلام" للعلوم الإسلامية الجامعة/أقسام بابل

## الخلاصة

رافق حضور المسيحيين النساطرة في مناطق تواجدهم في أي مكان مأس عديدة دفعتهم وخلال قرون متعاقبة لأن يصيروا شعباً يائساً من مستقبله، فقبل الحرب العالمية الأولى، كان النساطرة الجبليون مستقلين بشكل يسيرون فيه وفقاً لنظام عشائري قبلي تحت سلطة المارشمعون (البطيرير كالنسطوري)، الأب الروحي والديوي لهم، ويعيشون بصعوبة في حكامي العثمانية إلى أن أجبرتهم ظروف الحرب العالمية الأولى إلى الهجرة عن مناطقهم، وكان من ضمن المهاجرين سيدة محترمة أطلقت عليها الكثير من المصادر التاريخية لقب السيدة (الكلدوآشورية)، وهذه السيدة لعبت يوماً ما دوراً مؤثراً في حضارة أمة، كان لها ماضيها وحضارتها وقيمها، كما وكان لها لغتها الرسمية التي يعتقدون بأنها اللغة التي تكلم بها السيد المسيح، ولها معتقدها الأيماني الخاص بها . وعرفت هذه السيدة بإسم سورما أو سورمة، وتنتهي أصلاً إلى عائلة(بيت المارشمعون)المعروفة، والتي توارث أبناؤها الجلوس على الكرسي البطيريركي الخاص بكنيسة المشرق قروناً عدة. وبعد ذلك تكيفت هذه السيدة مع الواقع المرير الذي عاشه شعبها النسطوري حاملة مشعلا لتبشير الإنجيلي الأصيل، لتدافع عن حكم وتطلعات هذا الشعب المسيحي في إقامة حكم ذاتي تحت سلطة المارشمعون، فأتجهت سورما التي صارت تعرف بإسم (سورماخانم)، في مسيرة حياتها أولاً من حكامي في جنوب شرق تركيا إلى الشمال الغربي من إيران نحو أورميه، وبعد ذلك وصولها إلى العراق في مخيمات بعقوبة التي أوجدتها لهم بريطانيا.

الكلمات الدالة: مخيمات بعقوبة، حكم ذاتي، معتقد

## ١ - المقدمة

أجبرت الظروف سورما خانم إلى أن تمسك بزمام قيادة جماعتها في مرحلة تاريخية غاية في الصعوبة، خصوصاً أبان سنوات الحرب العالمية الأولى، وما تعرض إليه مسيحيو هذه الجماعة من هجمات الجيوش العثمانية والقبائل الكردية، فأصبحوا كماشية وضحية مذابح وحشية كثيرة، فهاجر من لم يقتل وفر من وطنه، وقد رافقت سورما النزوح الجماعي من تركيا نحو إيران، ومن ثم استقرت لفترة في العراق، وجلست على طاولة المفاوضات، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، مع كبار قادة العالم آنذاك، فدافعت عن حقوق شعبها، وفي لعبة مضطربة بين سلطات الاحتلال البريطاني للعراق في تلك المدة، أهمل شعبها الصغير، وأهملت قضيته، ليكون بين ليلة وضحاها (أقلية منسية)، بعد أن كان مثار صراع واهتمام أغلب الدول، لاسيما الكبرى منها كبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

قطعت سورما المسافات الطويلة برفقة أبناء شعبها، هرباً من مضطهديها من الأتراك والأكراد، والأخيرين كانوا أشد وطأة عليهم، سائرين مشياً على الأقدام لمسافات جاوزت الألف كيلو متر، وكانت هذه المسافات هي محطات للسير في طرق وعرة وصعبة، بدأت من قوجانيس (مقر البطريكية النسطورية) إلى الباش قلعة، وفي هذه المنطقة كانت الطرق متعرجة وكثيرة الأتواءات ومحفوفة بالمخاطر، بسبب المكائد التي كان الملاحقون ينصبونها لهم وخصوصاً الكرد، ذو العقليّة القبلية المتوحشة، وعاشت هذه السيدة النسطورية أيام تلك الرحلة في بؤس وشقاء، ومعها شعبها المسكين، بعد ذلك لجأت إلى الأراضي البريطانية ومن ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن ينتهي بها المطاف منفية من وطنها إلى قبرص.

ويهتم هذا البحث في إبراز الدور الحقيقي الذي لعبته سورماخانم في مرحلة الصراع الكردي-النيستوري خلال سنوات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، وما تبع تلك المرحلة من تدخل بريطانيا في ذلك الصراع، محاولة في الوقت ذاته للعب بورقة هذه الأقلية المسيحية الصغيرة ضد الدول الأوروبية المنافسة لها للسيطرة على مختلف مناطق الصراع الدولية في العالم، آخذين بنظر الاعتبار أن هذا البحث هو محاولة جادة لتبيان حقيقة طبيعة الانظمة السياسية الحاكمة في أحكام قبضتها على مناطق النفوذ والصراع الدوليين، ونعني بذلك استخدام مختلف الوسائل والطرق، كالتعصب الديني الأعمى، والتنافس الشخصي بين أبناء القبيلة الواحدة، كعنصر مهم من هذه الطرق والوسائل علماً أن تداخل المراحل التاريخية- ومن أجل فهمها جيداً- أجبرت الباحث على الرجوع إلى فترات سبقت المرحلة التاريخية عنوان الدراسة.

## ٢ - سورما خانم والعائلة البطريكية

كان البطريك النسطوري ومنذ القرن السابع عشر، هو الرئيس الأعلى الديني والمدني للجماعات المسيحية السريانية<sup>[\*]</sup>، ويقيم مع أبناء عائلته في ضيعة صغيرة تدعى قوجانيس<sup>[\*\*]</sup>، وهي مطلة على نهر

<sup>[\*]</sup> السريانية: لزمّت هذه التسمية كنيسة أنطاكية منذ فجر المسيحية، وفي بداية الأمر لم يكن لهذه الكلمة مدلول قومياً وسياسي بل مدلول ديني فقط، يشير إلى أبناء كنيسة أنطاكية الرسولية من المسيحيي فقط دون غيرهم من أبناء الكنائس الأخرى مثل روما والاسكندرية، أي أن كل سرياني مسيحي ولكن ليس كل مسيحي سرياني، والأسم السرياني هو اسم كنيسة أنطاكية الديني ورعاياها أينما وجدوا بغض النظر عن بلدهم أو جنسيتهم، وأن سألت أحداً من أهل القرى المسيحية في الشام والعراق وإيران وغيرها، ما هو دينك؟ أجاب على الفور بالسريانية: أنا سوري، أي أنا مسيحي، لذلك فإن اسم السريان أصبح إسماً قومياً لكل مسيحيي كنيسة أنطاكية في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وكل آسيا بغض النظر عن جنسهم أو انتمائهم العرقي منذ بداية المسيحية وإلى مجيء الإسلام، للمزيد ينظر: إسحق ساكا، كنيسة السريانية، ط٤، أربيل، مطبعة ميديا، ١٩٨٥، ص ٢٣٥.

الزباب الأعلى (الكبير)، وكان عدد نفوس هذه الضيعة بحدود (٨٠٠ نسمة) [١]، والبطريك النسطوري هو الرئيس الأعلى لكنيسة المشرق الرسولية [\*\*\*]، ويمثل الحلقة الأخيرة في سلسلة البطارقة الطويل، والتي بدايتها كانت بمارتوما الرسول، وتتمتع هذه الكنيسة بتاريخ حافل يمتد عبر عشرين قرناً، ويحتوي على صفحات مشرقة وأخرى مظلمة ولمراحل متباينة [\*\*\*].

عرفت كنيسة المشرق أبان العهد الفارسي (الساساني)، بالكنيسة النسطورية، وفي مراحل تاريخية لاحقة وعندما نجحت بريطانيا بإرسال البعثة التبشيرية الأنجليكانية [\*\*\*\*]، والتي زرعتها رئاسة أسقفية كانتربري في ربوع حكاري التركية وتحديداً في عام ١٨٦١، كانت سورماخانم التي ولدت في قوجانيس في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٨٨٣، هي أبنة أخ البطريك المتوفي المدعو (ما شمعون روثيل)، والذي جلس على الكرسي البطريكي في عام ١٨٦٢، وبقي عليه حتى وفاته عام ١٩٠٣، وأنها في الوفاق ذاته

[\*\*] قوجانيس: قرية صغيرة في منطقة حكاري التركية، تقع في موقع طبيعي رائع فوق قمة منبسطة أشبه بمرعى عشبي وعري بين قمتي جبلين بيرزان من سلاسل شامخة مغطاة بالثلوج إلى غربها، وبلتقيان تدريجياً حتى يصل إلى وادٍ يصب ماءه في نهر الزباب الكبير بعد مسيرة ساعتين في القرية، والتي يوجد فيها مقر البطريك الخاص للمزيد ينظر: Henry Field, The Anthropology of Iraq, Vol. 2, Kurdistan, 1957, P.64.

[\*\*\*] منذ أواخر القرن الثاني عشر فما فوق على الأرجح، أصبحت كنيسة المشرق كنيسة بلاد فارس والمنفصلة عن الكنائس الغربية خلال التطورات السياسية والعقائدية، إذ كانت تقع في الدولة الفارسية وليس الإمبراطورية الرومانية، وبعد القرن الخامس صارت معزولة إلى حد كبير، حيث تم في ذلك القرن إنشاء أسقفيات في الشرق، منها في سوريا والأناضول ووادي الرافدين وبلاد فارس وآسيا الوسطى والهند والصين. للمزيد ينظر: لومون الفرنسي، مختصر تواريخ الكنيسة، ترجمة أقليمس يوسف داود الموصل، الموصل، مطبعة الآباء الدومنيكان، ١٨٧٩، ص ٥٧٨.

[\*\*\*\*] في بداية المسيحية ومنذ عهد الرسل، أصبح التنظيم المسيحي الكنسي يعين منصب أساقفة المدن الصغيرة وأساقفة المدن الكبيرة، وإن كان الإثنان متساويان في السيادة والكرامة، إذ كانت تقع في الدولة الفارسية وليس الإمبراطورية الرومانية، وبعد القرن الخامس صارت معزولة إلى حد كبير، حيث تم في ذلك القرن إنشاء أسقفيات في الشرق، منها في سوريا والأناضول ووادي الرافدين وبلاد فارس وآسيا الوسطى والهند والصين. للمزيد ينظر: لومون الفرنسي، مختصر تواريخ الكنيسة، ترجمة أقليمس يوسف داود الموصل، الموصل، مطبعة الآباء الدومنيكان، ١٨٧٩، ص ٥٧٨.

[\*\*\*\*\*] الأنجليكان: وكنيستها تسمى الكنيسة الأنجليكانية أو الأنكليكانية أو هي كنيسة إنكلترا (الكنيسة الإنكليزية)، وهي أم الكنائس الأسقفية في العالم، وأنشقت عن الكنيسة الكاثوليكية في عهد الملك هنري الثامن (١٥٥٩-١٥٤٧م)، والذي أراد طلاق زوجته كاترينا الأرغونية Catherine of Aragon، لأنها لم تتجب له أولاد، والزواج من آن بولين على أمل أن تلد له ورثاً للعرش، لكن البابا كلمنت السابع (١٥٢٣-١٥٣٤م) رفض هذا الزواج، فقام أسقف كانتربري (توماس كراير)، بفسخ زواجه من كاترينا وتزويجه من آن بولين، وفي ٢٥ كانون الثاني ١٥٣٣م، عدت الكنيسة الكاثوليكية قرار الطلاق والزواج باطلين، وعلى أثر ذلك قرر الملك فصل كنيسة إنكلترا عن كنيسة روما، وأعلن بأنه رئيساً لكنيسة الإنكليزية، فأصبحت الكنيسة الإنكليكانية كنيسة مستقلة عن كنيسة روما. للمزيد ينظر: غابرييل كوتسن، الكنيسة الإنكليكانية حقبة صراع، ترجمة فخر الدين بيروتي، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٦-١٧.

هي أخت(مار شمعون بنيامين)، البطريك الحالي<sup>[\*]</sup>.

وسورما هي البنت البكر لرجل الدين (الشماس)<sup>[\*\*]</sup> إيشيا وزوجته أسيت، وكان لهما ثمانية أولاد ستة منهم من الذكور، والبطريك (مار بنيامين)<sup>[\*\*\*]</sup> هو الولد الثاني بالعائلة، وبعده تأتي أخته (رومي)، وبعدها هناك خمسة ذكور هم على التوالي (بولص وداود وهرمزد وزيا وأيشعيا)، وعاشت سورما مشاكل عديدة تتعلق بشعبها، فمنذ نعومة أظفارها ونظراً لانتسابها إلى العائلة ومعايشتها للعديد من البطاركة من أبناء العائلة، فأنها واجهت مشاكل معقدة، أهمها مشكلة الخلافة البطريكية وراثيا، إذ أدت هذه المشكلة في بعض الأحيان إلى خلافات كبيرة بين الناس، وعندما كانت أم بطريك المستقبل تبدأ بالحمل، كان عليها أن تعيش حياة قداسة وعليها الإنقطاع عن أكل اللحم وتناول المشروبات الكحولية والخمور، وكان طعامها يعتمد على الفواكه والخضراوات، ونفس هذا النظام كان ينطبق على الطفل بعد مولده، أما حياته فكانت حياة الأكليروس ففي حالة كون الوليد أنثى فالنقليل يلزمها أن تعيش حياة راهبة مطبقة نفس الشروط التي يعيشها الذكر، أي عدم تناول المشروبات الكحولية وأكل اللحم، وهذا ما كانت سورما تطبقة في حياتها منذ أن كانت تعيش في قوجانيس [١، ص ٢٢].

تميزت سورما بخصوصية فرضت معها احترامها على الجميع، فقد كانت تتمتع بصوت نسائي عذب، وهو ما أشار إليه أغلب الذين ألقوها في أوقات ومناسبات مختلفة، لاسيما أصحاب البعثات التبشيرية الأجنبية المختلفة التي وصلت إلى مناطق النساطرة منذ مطلع القرن التاسع عشر وما بعده، فكانت دائماً ترحب بالضيوف القادمين إلى مقر البطريك في قوجانيس بقولها: (بشينا، بشينا تبلوخون)، ومعناه (ليكن سلام الرب معكم وأهلاً وسهلاً بكم) [١، ص ٣٠]، أما بالنسبة لكلمة خانم، فهي مفردة تركية تعني مؤنث الأيلخان والتي مصدرها (الخان)، ومعناها السيد ذو السيادة المطلقة، أما المعنى الفعلي للمفردة خانم فهو المرأة ذات السلطة وكلمتها مسموعة ومطاعة في مجتمعنا، وعن معنى سورما ولقبها بالخانم نستطيع أن نقول كونها موازية لمعنى الأميرة أو سيدة البيت ذات السلطة في المقر البطريكي [٢].

كبرت سورما وتربّت في بيت العائلة البطريكية، وتعلمت مختلف العلوم الأدبية والعلمية منذ صغرها على يد الأب الدكتور رابي براون الذي وصل إلى مناطق النساطرة مبعوثاً من قبل رئيس أساقفة الكنيسة الأنجليكانية (أوداردوايتبنسون Edward Whit Benson)، لإعادة هيكلة البعثة التبشيرية الأنجليكانية

[\*] مار معناه السيد، وتطلق على القديس والبطريك والأسقف، وبتريك كلمة عربية تعني أساقفة، وهي رتبة دينية استخدمت في رتب الكنيسة الأرثوذكسية، وجميع بطاركة النساطرة يبداء إسمهم بشمعون ثم رقم التسلسل ثم الإسم المسيحي للبطريك. وللمزيد ينظر: يزيك حنا لوقا، مادة(مار)، و(بطاركة)، المصدر السابق، ص ٦٠٧، ٧١٣ على التوالي.

[\*\*] الشماس: وهو لقب ديني يأتي بعد لقب الأب الخوري، والشماس والشماس المساعد لا يقومون بممارسة الطقوس والشعائر الدينية، وإنما اقتصر واجبهم على خدمة الكنيسة وتوزيع الهبات، ويناديه الأتباع بإسم أبونا. للمزيد ينظر: يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القس مرقس داود، القاهرة، منشورات دار الكرناك، ١٩٦٠، ص ١٩٠.

[\*\*\*] يستمر النظام الوراثي في الكنيسة النسطورية إلى مراحل تاريخية معاصرة، لعل آخرها ما حصل في سنة ١٩٦٣ بين المار شمعون وخاله يوسف خنانيشو من جهة، ومطران النساطرة في الهند (توماسدرومو) من جهة أخرى، إذ عارض المطران إلتنزام الكنيسة بالنظام الوراثي، وكانت نتيجة إنقسام الكنيسة النسطورية إلى قسمين، سمي الأول منها، وهم الموالون للمار شمعون بـ(أبناء الكنيسة الشرقية النسطورية)، بينما سمي الثاني وهم المعارضون له بـ(أبناء الكنيسة الرسولية الجاثليقية القديمة للطائفة النسطورية الشرقية). وللمزيد ينظر: رياض رشيد ناجي الحيدري، الآشوريون في العراق ١٩١٨-١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين الشمس، كلية الآداب، ١٩٧٣، ص ٣٧.

في حكاري، وكان ذلك في الثاني من حزيران عام ١٨٨٦ [٣]. وأكثر الأمور التي كانت سورما تهتم بها وتعطيها وقتاً طويلاً من حياتها، هو انعقاد مجلس (ديوان) البطريرك، وكانت غرفة الديوان عبارة عن صالة واسعة قليلة الأثاث مغطاة بسجادة صوفية، ولم يكن يوجد على شبابيك الغرفة أي زجاج، إذ كانوا يضعون على فتحات الشبابيك في فصل الشتاء أوراقاً مدهونة بالزيت، عوضاً عن الزجاج، وكانت الإضاءة تعتمد على قناديل من الفخار تستخدم فيها عجينة حبوب الخروع، وحضور مجلس البطريرك، الذي كان يسمح بقاء كل من يرغب بمقابلته أو تسليم عريضة خاصة بموضوع معين، له رسوم وطقوس معينة يجب الإلتزام بها، وبعد ذلك تقدم القهوة والتبغ (السكائر)، ودائماً البطريرك هو أول المتحدثين، في القضايا العامة والمناقشات في الأمور الدينية والإيمانية، وفي مجلس البطريرك هناك دوراً مؤثراً للمرأة وبشكل استثنائي وحسب العادات الشرقية المتبعة، وهذا الدور لعبته سورما خانم في عهد أخيها البطريرك مار شمعون بنيامين [١، ص ٤١].

وفي بداية القرن العشرين ركز أساقفة الكنيسة الأنجليكانية (كنيسة انكلترا) على أسلوب الإقامة في المناطق التي يستوطنها النساطرة، ومن ثم العمل على تأسيس كنيسة جديدة لهم، بواسطة اللاحاح على متابعة منهج واضح المعالم في دراسة القضايا المتعلقة بالأمور الروحية والانسانية والتعليمية، وكان الهدف من هذا التركيز هو إبعاد النساطرة، الذين بدأ البريطانيون يطلقون عليهم تسمية (الأشوريون)، وكونهم أبناء نينوى الأبطال، وان دماءهم هي دماء آشورية، عن الامبراطورية الرومانية (المقصود هو كنيسة روما الكاثوليكية وليس الامبراطورية الرومانية المعروفة والشهيرة تاريخياً)، ووضع حداً للاهتداءات إلى الكتلثة وتحقيق اعتراف ايماني متبادل بين الكنيستين [٤\*].

ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو نشاط الكنيسة الأنجليكانية كان نشاطاً مختلفاً عن نشاط الحكومة البريطانية الذي باطنياً كان يرى في تدخل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية نذير شؤوم يهدد المصالح القومية، بينما ظاهرياً كان يبدي بعض الحيادية في بعض الأحيان ويؤيدها تأييداً ايجابياً أحياناً أخرى، معتبراً البعثات الروسية إلى مناطق النساطرة، بأنها تمثل سوراً حامياً وخطأً دفاعياً في مواجهة نشاط المبشرين اللاتين [٥\*\*].

[٤\*] خلال السنوات (١٨٤٥-١٨٥٥)، وصلت إلى بريطانيا نحو (٢٥ ألف) قطعة أثرية طينية وحجرية من القطع التي إكتشفها السياسي والرحالة البريطاني أو ستنهريلايارد Austin Henry Layard، وأحدثت وصولها ضجة شعبية واسعة في بريطانيا، ألهمت خيال الناس، فالمتدينون أعجبوا بها كثيراً بعد أن رأوا التشابه الكبير بين ماورد في الكتاب المقدس عن الأشوريين وما إحتوته هذه الآثار، وأنها جاءت شاهداً كبيراً على صحة الكتاب المقدس، فصارت هذه الإكتشافات تُنشر مقرونة بآيات الكتاب المقدس، كما جعلت هذه الآثار الأساطير والمسرحيات والقصائد عن بلاد آشور صورة حقيقية على أرض الواقع، فصارت بلاد آشور و نينوى موضع إهتمام كبير من قبل الأدباء والشعراء، كما صارت الإنشاء المفضل في المدارس، ومادة مميزة للكتاب. للمزيد ينظر: نوراكي، الطريق إلى نينوى، ترجمة سلسل محمد العاني، مراجعة هادي الطائي، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٨، ص ٣٦٣-٣٧٣.

[٥\*\*] شهدت بداية القرن التاسع عشر توسعاً كبيراً في نفوذ الحكومة البريطانية داخل الدولة العثمانية، وجاء هذا التوسع كجزء من الصراع البريطاني- الروسي لحفظ توازن القوى في أوروبا، وأثر سلسلة من الحروب الروسية- العثمانية توغلت القوات الروسية في المناطق المحاذية لكردستان التركية، كما وتغلغت في عمق كردستان الفارسية في منطقة أذربيجان الفارسية، وبدأ الروس يهددون المصالح البريطانية في مضايك الدردنيل والبسفور والمصالح الإستعمارية لها في العراق والهند، لذلك أصبح دعم الدولة العثمانية من أجل الحفاظ على وحدة أراضيها، أحد أهم أركان السياسة البريطانية في الشرق. ونظراً لأهمية كردستان الأستراتيجية في الصراع الروسي البريطاني، حاولت كلتا الدولتين إيجاد مواقع قدم لهما في المنطقة، فحاول الروس التغلغل في المنطقة الكردية من خلال إيجاد صلات وثيقة مع الأرمن، وتبني البريطانيون بدورهم البيديين والنساطرة، هذا من ناحية الأحداث الدولية، أما من ناحية الأحداث الإقليمية والمحلية، فقد أصبحت مناطق النساطرة والمسيحيين الآخرين فوهة بركان ألقفته السياسات الدينية والثقافية

## ٣- بدايات الفرار الجماعي لجماهير النساطرة

استوطن النساطرة جبال حكاري الشاهقة ذات الوديان المرعبة، وفي هذه الجبال كانت تعيش أيضاً الذئاب وبنات آوى، التي يسمع عوائها ليلاً فترده القمم العالية رهيباً، والمسالك في هذه الجبال عاصية بسبب مايتخللها من أكوام الحجارة والصخور التي جرفتها السيول، وفي هذه المناطق الموحشة انتشرت جماعات اللصوص، والتي اتخذت من قطاع الطرق على المسافرين مهنة أساسية لها [٤].

ولهذا كان الأمن والهدوء نادراً والطمأنينة شبه معدومة، وفي هكذا مناطق عاش السكان النسطوريين جنباً إلى جنب مع جيرانهم الأكراد ووفقاً لنظاماً اجتماعياً معروفاً بالنظام (القبلي-الأقطاعي)، والذي كان سائداً آنذاك، وهذا النظام ساعد السكان على التمتع بنوع من الإستقلال [٥]. إذ لم يكونوا (النساطرة والکرد) خاضعين للخدمة العسكرية الأتورية في الجيش العثماني، فضلاً عن ذلك فإن إنعزال النساطرة في مناطقهم الجبلية الشاهقة والعاصية خلق فيهم طباع البشر المنغلقيين على ذاتهم، إذ كان الإتصال بهم أو التعامل معهم شبه مستحيل، وهذا ماجعلهم يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي الفعلي، كما ان جباة الضرائب في الامبراطورية العثمانية غير قادرين على التغلغل في المناطق التي يسكنها النساطرة، فقد كانت هناك وفي منطقة عاصية جداً تنتصب صخرة هائلة الحجم سميت (صخرة محصل الضرائب)، وهي تخليداً للرأي القائل: (أن لا موظف عثماني باستطاعته اجتيازها أو التغلغل مسافة أبعد منها، لأن الذهاب إلى المناطق الواقعة خلفها كان يعني المخاطرة بالحياة) [٦].

وعاش النساطرة حياة قبلية لم يرغبوا معها الابتعاد عن هذه الجبال الشمّاء، ولذلك تميزت حياتهم بنوع من الخنوع والذل ونوعاً من الوصاية والحماية، وصارت حياتهم وباستمرار مهددة بالغزو أو حملات النهب والسلب، وانتشرت مناطق سكنهم في قرى متقاربة ومتباعدة انتشرت على امتداد نهر الزاب الكبير وحوالي أشينا [٦].

وكانت المؤسسة البطيريركية تتماشى مع ما يفرضه نظام الإقطاع الإقتصادي والاجتماعي، والذي يشبه وإلى حد كبير النظام الكونفدرالي في العصر الحديث، فصار أسلوب حياتهم المتبع متقارب كثيراً من أسلوب حياة وعيش الأكراد المجاورين لهم مع اختلافهم في جوانب عدّة، وخاصة الدين واللغة، فكانت لغة الذين

---

القوى المسيحية المختلفة. ينظر: Vernan John Puryear, England-Russia and the Straits Question (1844-1856), London, 1956, P.23.

[٦] تعددت مناطق سكن النساطرة وأختلفت علاقاتهم مع الأقوام المجاورة لهم من منطقة إلى أخرى، فمثلاً نساطرة حكاري أختلفت علاقاتهم بالأتراك تبعاً لإختلاف طبيعة المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها، فسكان الجبال مثلاً وهم رعاة في الأغلب، وبسبب ظروف حياتهم وصراهم المستمر مع جيرانهم الكرّد، وطبيعة الأرض التي يسكنوها، والتي منحتهم الفرصة لتكوين دفاعات طبيعية ضد أعدائهم، فأكسبتهم شخصية ميالة للقتال، مكنتهم لأن يكونوا عدوانيين وجامحين ضد التهديدات الخارجية، وغير خاضعين لقوانين أو سلطة معينة، وبالتالي وعلى الرغم من قلة أعدادهم مقارنة بالكرّد، إلا أنهم نجحوا تماماً في القتال ومجابهة الأعداء، بينما نجد إنخراط سكان السهول في صفوف الجيش العثماني ودفعهم الضرائب والأتاوات. للمزيد ينظر: أسامة نعمان،

تاريخ الأشوريين، ج١، بغداد، ١٩٧٠، ص٣٣؛ Robret Dekelaita, The Origins and Development of Assyrian Nationalism (Chicago, 1967), P.19.

أخذوا الإسلام ديناً كانت الكردية، وهي من مجموعة اللغات الهندو-أوربية، وهي قريبة من اللغة الفارسية، بينما النساطرة تكلموا لغة سامية تعرف بالآرامية ومنها تمحورت اللغة المحكية التي تسمى لغة (السورث)<sup>[٤]</sup>. إن الإختلاف الديني واللغوي بين الأكراد والنساطرة الآشوريين لم يلعب دوراً مهماً في حياتهما، فالشعبان الكردي والنسطوري بقيا يعيشان جنباً إلى جنب بألفة وتفاهم تام، وكانت علاقة كل منهما بمختلف الفرق المكونة لكل شعب من الشعبين جيدة، ومع مرور الزمن حصل للأكراد تفوق عددي على النسطوريين في المنطقة الساكنين فيها، ووصل عددهم إلى (١٦٠ ألف نسمة)، كما وعقدت العشائر النسطورية إتفاقات كثيرة مع القبائل الكردية<sup>[٧]</sup>.

وكما أشرنا أعلاه، لم يكن للإختلاف الديني أثراً واضحاً وملحوظاً على طرفي الإتفاقيات، هذا إن لم نشر إلى أنه كان ذا تأثير ايجابي، فقد تمتعت الأقلية المسيحية الشديدة البأس وبفضل عزلتها بنوع خاص من الوجود والكيان، والمختلف عن ذلك الذي عاشه المسيحيون الشرقيون الآخرون أو الجماهير الأخرى، التي كانت تخضع لنظام وضعته الدولة العثمانية عرف بنظام (الملت). والسلطات العثمانية كانت دوماً تحت القوى الإسلامية المركزية على تجاهل وجود هذه الأقلية (النسطورية)، طالما لاتمثل أي خطر على الدولة، أو تسبب لها مشاكل، لكن بعد وصول المبشرين الأجانب أستيقضت الروح القومية وخاصة بعد أن لعبت القوى العظمى أدوارها الحاسمة في تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية، وكل هذه الأمور كان لها تأثيراً سلبياً في حياة النسطوريين سُجلت في صفحات التاريخ<sup>[٢]</sup>، ص ٥٩.

لم تكن الدسائس والمنازعات في تلك المناطق أموراً نادرة أو غير اعتيادية، وذلك بسبب التأخر الحضاري، فكان القتال يندلع لأسباب تافهة، وغالباً ما يصبح عنيفاً وغير متكافئ، ينتهي بإحراق المنطقة بأكملها، وخلال المدة (١٨٤٣-١٨٤٧)، حصل قتال عنيف بين الأكراد والمسيحيين النساطرة تخللته مجازر بشرية فضيعة، وقامت حرب طاحنة شملت كل مناطق النساطرة ومعتمدة على نهب قطعان الماشية العائدة للمسيحيين، أو اغتيالهم وقتلهم بوحشية سواء كانوا من الرجال أو النساء والأطفال، وهذه العمليات حصلت في

<sup>[٤]</sup> عرفت اللغة السريانية بالآرامية أيضاً، ولكن بمرور الزمن برزت عدة لهجات وخطوط عديده لكتابة اللغة السريانية، فالآرامية والسريانية إسمان للغة واحدة، وكل ما في الأمر هو أن الآراميين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية سمّوا أنفسهم سريانا ولغتهم السريانية، لكي يميزوا أنفسهم كمسيحيين من بني جنسهم عن الآراميين الذين بقوا على ديانة الوثنية، وعليه فمذمى السيد المسيح وإنتشار الديانة المسيحية إرتبط بإسم السريان بالديانة المسيحية، وبما أن جميع الآراميين لم يعتنقوا المسيحية بل بقوا وثنيين أو إعتنقوا ديانات أخرى فيما بعد، أصبحت لفظة آرامي في أذهان العامة المسيحيين ذات مدلول وثني شبيهة بلفظة (جاهلي) عند المسلمين، لذلك أمكن تسمية اللغة السريانية بالآرامية أيضاً، ولكن لا يمكن تسمية الكنيسة السريانية بالآرامية، لأن ذلك مدلول وثني، وبإختصار فإن إسمها هو اللغة الآرامية قبل الميلاد واللغة السريانية منذ الميلاد وإلى اليوم. فضلا عن ذلك فإن كلمة (لغة) كمفردة، غير موجودة في اللغة السريانية الفصحى، ويقابلها كلمة (لسان)، في قالب السريانية بصيغة المذكر فقط: (أنا أتكلم اللسان السرياني)، ولاتستعمل بصيغة المؤنث مثل العربية (أن أتكلم السريانية)، لكن عامة الناس تؤنثها باللهجة المحكية الدارجة مثل العربية لسهولة النطق، فيقال: أنا أتكلم السريانية (سوريينا)، أو (سورث)، وهذه الكلمة الأخيرة معناها اللهجة السريانية المحكية، والتي هي بأختصار كلمة (سورثا يانيث)، ومعناها (بحسب السريانية)، أو (هي السريانية)، وينطبق هذا الكلام على تسميات اللغات الأخرى، فيسمون التركية (توركث)، والكردية (كورث)، والمغولية (مغلث)، وغيرها من التسميات. للمزيد ينظر: دويونسومو، الآراميين، ترجمة ناظم الجندي، دمشق، دار أماني، ١٩٨٨، ص ٢٤-٢٦، Albert Socin, Die Neuarmäische Dialekte, Von Urmia Bis Mosul, Tubingen, 1882, P.126.

مختلف مواطن المسيحيين ودون أي استثناء، وبعد قتل الضحايا كانوا يقطعون آذانهم ويرسلوها إلى قادتهم، وأضطر البطريرك إلى الهرب والجوء إلى مدينة الموصل [٨].

انتهت تلك المجازر بتدخل السلطات العثمانية والباب العالي، واستطاعت القوات العثمانية من التغلغل الفعلي في تلك المناطق والسيطرة عليها، الأمر الذي لم تقدر على تحقيقه أبداً. وأدت سيطرة العثمانيين على كردستان إلى أن تحل سلطة الدولة الرسمية محل سلطة الأمراء الأكراد القديمة، ورغم المرارة التي شعر بها النساطرة بسبب المجازر الرهيبة التي قاسوها، إلا أنهم بدأوا من جديد في بناء كيان استقلالهم المستند على أساس النظام العشائري [٩].

وبعد انتهاء المجلس البطريركي المحزن أبلغ أخته سورما خانم قائلاً لها بإختصار: (هل علمت أن شماشيا ياقو(شماشنا) شاهد هذا الصباح غراباً يحطّ على سطح كنيسة مار شليطا<sup>[٩]</sup>، وسمع نعيه مدة طويلة؟) [١، ص ٦٠]. وامتنع وجه سورما بعد سماعها لكلام داوود، لأنها كانت واثقة من أن ظهور الغراب كان ينبئ بوقوع مصيبة عظيمة حسب المثل الشعبي الدارج عندهم والذي يقول: (حيث ينق الغراب سيحل الدمار والخراب)، وضاعف من حالة إنزعاج سورما وملئها قلقاً وأضطراباً، وأخذت تسأل نفسها قائلة: ألا يكفينا ما عانيناه من مصائب قومنا حتى يأتينا أحداثاً أخرى تنبأ بسوء طالع قد يفوق تلك المصائب [١، ص ٦١]. يمكن القول أن تشاؤم سورما خانم من نعي الغراب يشبه وإلى حد بعيد ما يفكر به المسلمون من تشاؤمهم عند سماع صوت الغراب ونعيه، وربما يرجع هذا إلى تجاورهم وتأثرهم بعضهم ببعض. وسورما بحذافتها علمت أن ماسمعتة وشاهدته هي علامات واضحة لشور كبير ومصائب مؤلمة ستحل بعائلتها والشعب الذي تحبه بإخلاص (شعبها النسطوري)، ومنذ ذلك الحين، أخذت سورما تضاعف من مدة صلواتها طالبة من الرب الرحمة والعطف على شعبها المسكين، وأن يحفظ الرب بقدرته أفراد عائلتها وكل المؤمنين من نكبة كبيرة مقبلة [١٠].

وهناك عاملاً آخر مهم، له دور بارز في زيادة الكره والبغضاء والعداء والمصائب على النساطرة، وذلك العامل كان حضور المبشرين الغربيين والذي أقلق تفكير العثمانيين والفرس على حد سواء، وكردة فعل لذلك الحضور أصبح المبشرون أشخاصاً غير مرغوب فيهم وخاصة منذ أوائل القرن التاسع عشر (مرحلة وصولهم للمناطق النسطورية)، عندئذ تنامت الأطماع بالمبشرين وأزداد الحقد على اجازاتهم، ومن الجدير بالذكر هنا كان للتنافس المحموم بين البعثات التبشيرية المختلفة عقائدياً، أي الكاثوليكية والأرثوذكسية والأنجليكانية والبروتستانتية المنتشرة في تلك الربوع الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأراضي العثمانية والشمالية الغربية من بلاد فارس أو الأجزاء الشمالية من العراق ومناطق بلاد الشام تأثيراً كبيراً، إذ سبق للنسطوريين المسيحيين القاطنين في جبال حكاري أن اتصلوا بالكنيسة الأنجليكانية للمساعدة في إعادة تنظيم وتطوير كنيستهم ووفقاً لرؤى وتعليمات جديدة، وبسبب ذلك توثقت روابط الصداقة بين هذه الكنيسة والعائلة البطريركية النسطورية، غير إن الرهانات والتنافس الدوليين كانت أكبر من أن تستطيع العلاقات المؤسسة

<sup>[٩]</sup> مار شليطا: يتكون مقر البطريركية النسطورية في قوجانيس من عدة بيوت منخفضة السقف ومبنية من الحجارة المنحوتة يحميها مدخل معقود، وبالقرب منها برج ذو فتحات للرصد والمراقبة، ويقرب ذلك المقر تقع الكنيسة البطريركية المبنية على أسم الأسقف (مار شليطا). للمزيد ينظر: ميشيل شفالييه، المسيحيون في حكاري وكردستان الشمالية (الكلدان والسرياني والأشوريين والأرمن)، ترجمة نافع تواس، مراجعة وتحقيق الأب د. يوسف توما مرقس، بغداد، شركة الأطلس للطباعة، ٢٠١٠، ص ١٤١.



حديثاً للتغلب على الواقع الفعلي، فكل الجهود المبذولة كانت بيديّ العثمانيين والفرس من جهة والروس والمبشرين الغربيين من جهة أخرى، ونتيجةً لذلك رأى مار شمعون بنيامين (البطريك النسطوري) نفسه مجبراً على البحث عن جهة كفوءة تحميه مع أبناء شعبه [١١].

#### ٤ - سورما خانم بين الروس والبريطانيين

حصلت في أواخر شهر آذار عام ١٩١٠، نزاعات وأشتباكات بين أهالي إحدى القرى النسطورية، بسبب مناطق الرعي الصيفية، وعندما سمع الكرد بذلك هجموا على هذه القرية ونهبوا ماشيتها، ثم قام مائتي كردي من قبيلة الكويان بالهجوم على قطعات الماشية العائدة لأشيثا، القرية الكبرى في منطقة تيارى السفلى [\*]. ونتج عن ذلك الهجوم نهب بعض الماشية وقتل عدد من النسطوريين، وكانت ردت فعل النساطرة على هذا الاعتداء، كان شديداً وفورياً وحاسماً، إذ لم ينتظروا طويلاً، حيث قاموا بهجوم معاكس إستطاعوا بواسطته إسترداد بعض الماشية المنهوبة وقتل بعض الأكراد المعتدين وإصابة الكثير منهم [١٢].

نتيجة لأعتداءات الأكراد المستمرة على المسيحية النسطورية، وإنعدام الحياة الآمنة في مناطق جبال حكارى، جعلت البطريك النسطوري (مارشمعون بنيامين)، يتوجه نحو السلطات الروسية المسيطرة على أراضي آذربيجان الفارسية لطلب حمايته أو دعمها عند الحاجة، وأيدت سورما خانم هذا التوجه، وفي مقابل ذلك ستقبل كنيسة المشرق العقيدة الأرثوذكسية كعقيدة رسمية لها وتعترف بها مع الموافقة على الرضوخ لسلطتها الروحية العليا [\*].

وفي هذا الوقت بالذات، السلطات الروسية لم تكن تنظر إلى النسطوريين إلا كورقة ثانوية على المسرح السياسي الدولي، وعند عودة البطريك، أبلغ سورما خانم بالنتيجة غير الموفقة، وأصغت السيدة النسطورية المحترمة من الجميع باهتمام بالغ وفهمت جيداً معنى ذلك الرفض، الذي وسع آفاق إدراكها ودفعها للبحث عن حلول بديلة، إلا أن زيادة التنافس بين البعثات التبشيرية الغربية، ساعد على تجذير الإنقسام وتأهيل العناد والتفوق على الذات وإبعاد الأخوة عن بعضهم البعض، والنساطرة إرتبطوا بالكنيسة الأنجليكانية، لذا فإنهم كانوا على خلاف مستمر مع الكلدان المرتبطين بالرومان الكاثوليك [\*\*].

[\*] تيارى السفلى: وهي إحدى العشائر النسطورية الستة، وعاشت في موطن موقعه مغاير لموطن العشائر النسطورية الأخرى. إذ تقع هذه العشيرة على الضفة اليمنى من نهر الزاب الكبير، ومجموعة أبنائها يمثل لوحده حوالي نصف المجموع الكلي لمجموع أبناء العشائر الباقية كلها أو أكثرها، وتنقسم العشيرة إلى فرعين لكنهما غير متكافئين في الأهمية وغير متساويين عددياً، فالأولي عرف بـ (تيارى العليا)، والآخر يعرف بـ (تيارى السفلى)، وهذا الأخير من حيث العدد هو ضعف الأول، وأراضي الفرعين ليس بينهما أي إتصال عن طريق مضيق صخري يمر خلال الزاب الكبير. للمزيد ينظر:

John Joseph, Nestorians and their Muslim Neighbours, A study of Western influence on their Relations, Princeton, 1961, P. 82.

[\*\*] أدت الهجرات في آسيا الوسطى، ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين والتي حملت القبائل الناطقة بالتركية إلى القوقاز والأناضول، أدت إلى الإستقرار بهم في إقليم بلاد فارس، لاسيما الأقليم الواقع إلى أقصى الشمال الغربي (آذربيجان)، وليس لهؤلاء الفرس الناطقين بالتركية وعي قومي تركي، وإنما كان حالهم حال الفرس يقرأون الفارسية ويكتبونها. للمزيد ينظر: إعتقاد رجائي هرمان، هجران فارسي آذربيجان، تهران، إنتشارت أمير كبير، جاب ١٣٨٥ ش، ص ٦٤.

[\*\*] يتم في بعض الأحيان إستعمال مصطلح (الآشوريين الكلدان)، لضم كل من النساطرة وإخوتهم الكاثوليك، إذ تعترف القوانين الكنسية بكلا هاتين الطائفتين تحت مسميهم نصلين، الكلدان لرعاية الكنيسة الكاثوليكية، والآشوريين الكلدان للسريان، والذين يعرفون عرقياً بالنساطرة. للمزيد ينظر: لبنان، وزارة العدل، المجموعات الحديثة للقوانين اللبنانية (الأحوال الشخصية)، ملفات وزارة العدل، ملف ٨٢، بيروت، ١٩٥٤، ص ١٦.

وفي حالات كهذه كان التعقل والحكمة هما سيدا الموفق المطاعان، وبموجبهما غالباً ما كانت تتم تسوية الخلافات والمنازعات، لكن الأوضاع الآن تغيّرت والرهان أصبح بيد الغرباء، والإمبراطورية العثمانية كادت أن تنهار، وأنها دولة ذليلة، وواقع الدولة الفارسية واقع مرير وبموجبه تعيش الفوضى نتيجة التأثير الروسي والبريطاني، وقد أسستاهتان الدولتان لهما مراكز ثابتة منها تصدر القرارات، كما هنا كقوى عظمى أخرى تنتظر دورها لتدخل هذه المناطق واللحاق بالروس والإنكليز، وحالياً الوضع بين المسيحيين الشرقيين والغربيين ملغوم ومهدد بالإنفجار، وهذا هو ما استقر في أعماق جيراننا المسلمين، وإني خائفة جداً على علاقتنا الوطيدة ذات الجذور القديمة مع الكنيسة الأنجليكانية فتصبح موضع شك وصكاً للتراضي [١٣].

وبعد صمت تام وقصير واصلت سورما خانم مرة أخرى الكلام، فقالت: أين سيكون موقعنا في هذه الحياة؟ موقعنا نحن أبناء وبنات هذه الأرض التي نحبها كل الحب؟ فهل سيكون هناك من يسمعنا ويصغي لطلبات الإستغاثة التي سنطلبها جماهيرنا فيستجيب لها ويمدّ اليد لمساعدتنا؟ إني أرى هناك في الأفق البعيد مصائب مهولة ستحل بنا في المستقبل القريب فتغير أحوالنا نحو الأسوء [١٤].

وبسبب هذه الظروف آنذاك أصبحت الإدارة البطريركية في أدنى مستوياتها وأبسطها، إذ كانت هذه الإدارة شبه عائلية، وكان يعاون البطريرك أبناء هذه العائلة في أداء المهام، وهم الذين يقومون بنقل رسائله ومراسلاته التوجيهية وقراراته للتنفيذ، وكذلك هم الذين يقومون بجمع وتحصيل الضرائب المستحقة للكنيسة من غلات ومحاصيل زراعية، وأشار أحد الكتاب إلى ذلك قائلاً: (تلعب شقيقة البطريرك سورما خانم وأبناء عمومته دوراً حيوياً في إدارة البطريركية) [١٥].

وخلال العهد الكردي، كان للبطريرك دور أساسي في النشاط العسكري، إذ كانت له رتبة عسكرية، ويتحدد أدق أنه كان الإقطاعي الأكبر أمام الأمير التركي في حكاري والذي كان الحاكم العام للمنطقة، وفي أثناء القتال كان البطريرك هو القائد الأعلى لأحد أجنحة القوات المحاربة وهو أيضاً حاكم جولاميرك (مركز القرار النسطوري) [١٦].

[١٥] أدت الثروة دوراً هاماً في العلاقات الإجتماعية ضمن القرية الواحدة، وتفاوتت أهمية الطبقات في المجتمع النسطوري بتفاوت أهمية الألقاب الممنوحة لها، وامتازت علاقة الطبقة الحاكمة والتي تتألف من البطريرك ومن القساوسة والرهبان ورؤساء العشائر، بطابعها الإقطاعي، فهؤلاء إمتلكوا الأراضي الكبيرة والصالحة للزراعة في حين حرم المزارعين من ملكية الأراضي، بإستثناء بعض الملكيات الصغيرة، لذا فقد إستغل الملوك (رؤساء العشائر) ورجال الدين عمل مواطنيهم المزارعين إستغلالاً مباشراً، فكانوا يملكون حرسهم الخاص بهم، الذي احتسب على المزارعين على أنه الخاص والمدافع عن أراضيهم وقراهم، وهؤلاء يدفعون الضرائب مجبرين، وبذلك أصبحت هذه الطبقة مرفهة، وعاشت في بيوت بالرغم من كونها بنيت من الطين إلا أنها عدت حينها بأنها قصور السلاطين، وعلى الرغم من ذلك، فقد أدى رجال الدين دوراً فاعلاً في الشؤون العسكرية إلى جانب الأمور الدينية، فإذا توجب الظروف مشاركتهم في القتال وتقديم المساعدة، فإن القساوسة يشتركون في الحروب بين القبائل أو مع جيرانهم الآخرين، وأن الكثير منهم كان يحترم هذه المساعدة في توجيهه خلال الحرب وفي العبادة أيضاً. ينظر: علي طالب عبيد السلطاني، المصدر السابق ص ٨٩؛ ميخائيل. جي. ألتوفسكي، الكنائس المسيحية تنافس بعضها، ترجمة فؤاد بحري، بيروت، دار أبناء الكنيسة للنشر والترجمة، ١٩٥٤، ص ١٤٣.

[١٦] جولاميرك: وتكتب أيضاً (جوله مه رك)، أو (جولميرك)، أو (جوليميرك)، وتعني مرتع الغزلان، وهي قرية رئيسية في حكاري مركز النساطرة، وم نضمن جولاميرك منطقة قوجاميس مقر البطريركية النسطورية.. ينظر: بنيامين شيركو توما، موجز تاريخ المسيحية النسطورية في آسيا، بيروت، بعلبك للنشر والتوزيع، ١٩٨١، ص ١٤٩.

وعند غياب الأمير، وفي حالات كهذه كانت إقامته في قصر الحاكم نفسه في جولاميرك، ومنذ العام ١٩١٠ وما بعده، كان حكام الأكراد الثانويين يرسلون هداياهم الثمينة إلى البطريرك رغم أنه كان شديد الكراهية لهم، ولما كانت منطقة حكاري تحت الحكم العثماني التركي، كان للبطريرك صفة رئيس جماعة أو ملة، وهذا كان منحصراً في الشؤون الدنيوية الزمنية، بمعنى أنه في نظر الحكومة الرسمي (محصلاً للضرائب) لحساب الدولة، وذهب البطريرك وبطلب من متصرف سنجق جولاميرك لتحصيل الضرائب التي طلبها الباب العالي من عشيرة ديز، التي هي إحدى العشائر النسطورية، والتي رفضت دفع الضريبة وبعناد شديد، ومن المعلوم وخلافاً لهذه المهمة، كان المارشعمون (بطريرك النساطرة)، وكذلك بعض من أمراء الأكراد يتقاضون رواتب ومخصصات من الحكومة العثمانية، إلا أنه لم يكن يحصل عليها بصورة منتظمة [١]، ص ٦٤]. وعبداً ذلك كان للبطريرك مورداً مالياً يحصل عليه بشكل ضريبة مفروضة تحصل من العشائر وجماهير النساطرة على حد سواء، وبحسب التقديرات آنذاك بلغ مقدار الضرائب المحصلة لحساب البطريرك ما بين (٢٥٠٠-٣٠٠٠) قرش. وبسبب الفقر الذي يعيش فيه أبناء الأمة النسطورية الجبلون، فقد أعتدت واردات البطريركية على المبالغ المحصلة من أبناء الأمة النسطورية الساكنين في مناطق السهول في أورمية [١، ص ٦٥].

#### ٥- سورما خانم والمأساة الكبرى قبل الحرب العالمية الأولى

أنزلت إيطاليا سفنها الحربية في عام ١٩١١ في شمال غرب ليبيا، وتحديداً في مدينة طرابلس في وقت تشكلت فيه حكومة جديدة في تركيا بزعامه جماعة (تركيا الفتاة)<sup>[٩]</sup>، وشددت الحكومة الخناق على الجميع وبتسلط غاشم، كانت حصة جماهير النساطرة منه المزيد من التعسف والظلم المركب (التركي، لا والكردي)، وهنا أشارت سورما خانم على أخيها البطريرك (مارشمعون بنيامين)، في إعادة طلبه للسلطات الروسية لطلب المساعدة له ولشعبه، وهذه المرة استجابت حكومة القيصر الروسي للطلب وقررت إرسال رئيس البعثة التبشيرية التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية المقيمة في أورمية إلى قوجانيس، إلا أن رئيس البعثة آنذاك البابا (سيركي) كل قد أخر موعد الزيارة لمرات عديدة، بسبب التخوف من إيقاف الانتباه التركي وزيادة الشك في إخلاص النساطرة [١٥].

أخذ النساطرة ومنذ مطلع العام ١٩١٤ يوضعون في دائرة الإتهام أمام أنظار السلطات والدوائر المختصة العثمانية وإستناداً على طموحهم لتحقيق إستقلالهم الذاتي، إضافة إلى علاقاتهم المشبوهة مع المبشرين الإنكليز وعملهم الفصلي المنتظم والمستمر في المدن الروسية [١، ص ٧٥]، وكل هذه البيانات اعتبرت براهين ساطعة وأسباباً وجيهة لتنامي الريبة والشك من النساطرة، وبلغ هذا الشك أقصاه عند العثمانيين عندما إستدعى البطريرك النسطوري (مارشمعون بنيامين) للحضور أمام الوالي العثماني في ولاية وان (سنجق جولاميرك أحد توابعها)، والذي كان على شكل مناقشة طويلة جرت بينهما، ركز البطريرك إهتمامه فيها على

<sup>[٩]</sup> تشكلت تركيا الفتاة Jeunes Turcs على نزعات ليبرالية وقومية، وروج لها بعد عام ١٨٧٦ نخبة عثمانية تلقت تعليمها في فرنسا، وفي المدة القصيرة التي أقر فيها الدستور العثماني، وصلت الحركة إلى الواجهة، وعندما تم قمعها وصل أتباعها إلى الخارج خوفاً من ملاحقة جواسيس عبد الحميد في العقود التالية من الحكم الاستبدادي للسلطان، وضمت الحرمة الكثير من المسيحيين وبشكل رئيسي من اليونانيين والأرمن والنساطرة، وإشتملت خططهم على إنشاء اتحاد كونفدرالي عثماني، يكون فيهم شعوبهم حقوق متساوية بغض النظر عن ديانتهم وقوميتهم ودون تدخل من القوى الأوروبية. للمزيد ينظر: ف.ب. باركييف، كردستان منطقة الصراعات المخفية، ترجمة رشيد طاهر أركناس، أنقرة، مؤسسة ليزان للنشر والطباعة، ٢٠٠٠، ص ٢٧٦.

ضرورة ضمان سلامة أمن جماهير المؤمنين المسيحيين (بحسب قوله) التابعين له، بينما بالنسبة للوالي كان التركيز على ضرورة حيادية البطريرك وجماعته من خلال وعد يقطعه البطريرك مبني على عدم التحالف مع الروس في حالة دخول الدولة العثمانية الحرب ضد روسيا القيصرية، وقد وافق البطريرك على العرض بشرط أن يكون للأتراك بالمقابل وعداً بأن يكون لهم موقفاً مشابهاً تجاه الحفاظ على أمن وسلامة كل المسيحيين بشكل عام والنساطرة بشكل خاص<sup>[\*]</sup> وتم الإتفاق بحذر بالغ، ووجه البطريرك بعد عودته إلى مقره في قوجانيس رسائله إلى جماعته من المسيحيين النساطرة، طالباً منهم تأدية واجباتهم تجاه السلطات العثمانية بدقة تامة وإيفاءً بشروط الإتفاق أعلاه، والذي كان أحد أهدافه هو إعطاء البرهان والدليل على وضع الأسس الثابتة لحيادية النساطرة، وعند ذلك سيكون العثمانيين ملزمين بتوفير الحماية الحقيقية من أجل الوصول إلى حل كل المشاكل المتعلقة بين الطرفين [١، ص ٧٦].

ونظراً لأن بريطانيا وروسيا القيصرية كانتا تجسدان العدوين للسلطات العثمانية، فقد ازدادت الإزعاجات والمنغصات اليومية والحياتية للطوائف المسيحية عموماً، فأصبح الوضع في شتاء عام ١٩١٤ سيئاً للغاية، فكانت البداية فترة ساد فيها الوضع الغامض والعزلة التامة للنساطرة الآشوريين أبناء الجبال، فليس هناك قانون سائد ولا نظام يطاع، فضلاً عن ذلك، فقد ساد التسبب وإختلال الأمن في كل ربوع حكاري وأخذ بالنمو والإزدياء وتلبدت أجواء قوجانيس والأطراف المحيطة بها بغيوم الشؤوم، والتي سرعان ما انفجرت عاصفة هوجاء ودماراً وخراباً، ففي وان أقيل واليه (تحسين باشا)، الذي يُعد من المعتدلين مع النساطرة وعين بدلاً عنه (جودت باشا)، وهو صهر وزير الحربية أنور باشا، وفي الحادي والثلاثين من تشرين الأول ١٩١٤، دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد كل من فرنسا وبريطانيا، وبذلك اشتعلت فتيلة حرب عالمية بسبب المنازعات الدولية المحدودة [١، ص ١٨٢].

توالي ورود الأخبار السيئة التي كانت تصل إلى أسماع البطريرك وأفراد عائلته، لاسيما شقيقته سورما خانم، وهي في الغالب تفيد بأن الأوضاع لاتبشر بأي خير، بسبب ما كانت تنقله من أخبار عن الشرور الجسيمة والجرائم المهولة التي حصلت أو على وشك الحدوث، وضلّت الحالة تسير من سيء إلى أسوأ رافقها إحتجاجات كثيرة من قبل البطريرك ضد الاعتداءات التي قامت بها السلطات العثمانية وفيها نقضت الإتفاق المعقود بين الطرفين، حتى أبلغ الباب العالي رسمياً البطريرك وجماعته عن عدم إفساح المجال أمام عملاء العدو لدخول البلاد، ووعدهم في مقابل ذلك بإنشاء الطرق والمدارس والكنائس، واعطائهم مقعداً دائماً في مجلس السلطات في إسطنبول، كما طلب منهم مساعدته بتقديم المؤن والقطعان والبيغال والألبسة للجيش العثماني، فرحباً للنساطرة بهذه العروض وسرعان ما أعربوا عن رغبتهم في التطوع في الجيش العثماني [١٠، ص ٢٣٩].

أخذت القوى المتحالفة ضد النساطرة تعمل على حيك المؤامرات الخفية ضدهم، فزعم بعض الكرد الذين رفضوا الإلتحاق بالجيش العثماني أن الإنكليز والروس يدربون النساطرة، وإن قبائلهم باتت تُشكل خطراً

<sup>[\*]</sup>أوضحت الحكومة العثمانية رسمياً عن نيتها في حماية المسيحيين بكل طريقة، فيما لو إلتزموا الحياد ولن يتمردوا أو يحاربوا السلطان، أما إذا ثاروا فإنهم سيتحملون نتائج عملهم هذا، وإن هذه التصريحات دائماً ما كانت تطلق، ودائماً لا يتم الإيفاء بها، ففي إحدى المناسبات صرح الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) طلعت باشا في مطلع عام ١٩١٥، بأن الطريقة الوحيدة للتخلص من المسألة الأرمنية هو التخلص من الأرمن أنفسهم، وكان يأمل في أن الحرب العالمية الأولى ستوفر للعثمانيين هذه الفرصة، أما بالنسبة للنساطرة فليس هناك دليلاً قاطعاً على وجود خطة ممنهجة لإبانتهم. للمزيد ينظر:

A. Yeselson, United States – Persian Diplomatic Relations 1883–1921, (New York, 1956), P. 202.

عليهم، وأخذوا تحت ستار مثل هذه الإدعاءات يغزون القرى العثمانية، والذين سرعان ما أنقلبوا عليهم، وكانت التهمة هذه المرة، عدم الإشتراك في استقبال وتحية الجنود العثمانيين الذين وصلوا مناطقهم، والتي صارت عرضة للسلب والنهب، كما وقتل العديد من رجالها، بما فيهم رجال الدين، على الرغم من أن الأوامر كانت تستثني خدام الكنيسة من الواجبات المدنية<sup>[١٣]</sup>، ص ١٧٩]. من المؤكد أنه يمكن القول أن كل هذه الأمور كانت تحدث وفقاً لأوامر صادرة من ضباط القوات العسكرية، والذين يتصرفون وفي مثل هكذا ظروف وفقاً لإجتهادات شخصية بعيدة كل البعد عن تنفيذ الأوامر الصادرة من الجهات العليا، التي تصبح أوامرها صعبة التطبيق وغير ذي فائدة، وكان المجلس البطريركي وفي هذه الظروف في حالة إنعقاد دائم صباحاً ومساءً، وخلال الاجتماعات لم يكن يُسمع من الحاضرين إلا السؤال التالي: ما العمل وليس هناك من معين لنا، والأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد يوم؟ فضلاً عن قوجانيس كانت المناطق الأخرى المجاورة تعيش الأوضاع نفسها من الاعتداءات والنهب والإغتصاب، وكل ما يحدث هو بمعرفة السلطات والقادة العسكريين الكبار وبمواقفتهم الرسمية والشخصية، أو بموجب أوامر صادرة عنهم، وأن الرأي السائد والعام لدى المسلمين هو أن الأقليات المسيحية الواقعة تحت التسلط العثماني، إنما هي أجناس غريبة أجنبية، وموقف الحكومة العثمانية الرسمي كان موقفاً سلبياً رغم علمها بكل الأحداث الجارية والمجازر ومن يقوم بتنفيذها، وهذا يعني مرة أخرى اتصالها ونقضها للاتفاقيات المعقودة بين الطرفين<sup>[١٦]</sup>.

قام البطريرك النسطوري وبعد سماعه تفاصيل الأوضاع التي جاء ذكرها في أعلاه، بإبلاغها إلى الدوائر المحلية العثمانية في حكاري ووان، وبالرغم من كل الجهود المبذولة والإلحاح المستمر لجلب الإنتباه الى ما يجري وطلب التدخل الرسمي لإيقاف المجازر، فلم يستجب أحد لذلك، ولم يحظّ النساطرة بتطبيق العدالة التي يستحقونها والتي من المفترض ضمانها بموجب الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين<sup>[١٧]</sup>.

أرسل البطريرك في التاسع من شباط ١٩١٥، رسالة رسمية إلى القنصل الألماني في الموصل (هولشتاين)، إحتج بها على كل ما يجري لشعبه، طالباً منه التدخل بإرسال البرقيات إلى الجهات الألمانية المختصة، وإتخاذ الاجراءات اللازمة والسريعة لإيقاف الجرائم المرتكبة بحق النساطرة، إلا أن الجهات المعنية سدّت آذانها، ومضت في تطبيق سياستها القائمة أولاً على ضمان مصالحها الخاصة بها، وخلال شهر آذار من العام نفسه وصل إلى المقر البطريركي في قوجانيس رئيس عشيرة تيارى العليا (ملك أسماعيل)<sup>[١٨]</sup>، ومعه ستمائة من رجاله الأقوياء للتداول مع البطريرك وأخته سورما خانم في ما يجب عمله، وبعد التداول وافق البطريرك على إخلاء قوجانيس، وبالفعل بداء إخلائها من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، وغادروها إلى منطقة عشيرة تيارى العليا، أما البطريرك فأرأتى البقاء في مقره وبحماية خمسمائة مسلح نسطوري<sup>[١٨]</sup>.

غادرت قافلة المغادرين من قوجانيس بصحبة سورما خانم سيراً على الأقدام وبحراسة المسلحين المرافقين لها، وهم من رجال عشيرة تيارى العليا، وساروا على طريق شاقة ووعرة جداً وكثيرة الإلتواءات ولمسافة قاربت على الأربعين كيلوا متراً هي المسافة بين قوجانيس وجمباد ملك (مقر ملك اسماعيل)، والمشيد على قمة جبل عالية واقعة على الضفة اليسرى من مضائق نهر الزاب الكبير الشديد الإنحدارات، في حين

<sup>[١٨]</sup> تخضع كل عشيرة من العشائر النسطورية لسلطة رئيس أعلى يطلق عليه لقب (ملك أو مالك)، يعينه المارشعون، حيث لم يكن ذلك المنصب وراثياً. للمزيد ينظر: عبد الرحمن قاسم، كردستان والأكراد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٧.

غادر البطريرك النسطوري الذي لم يدم بقاءه في قوجانيس طويلاً، إلى أحد الوديان الصغيرة في منطقة عشيرة ديز، وخلال هذه المدة التاريخية كان الهجوم العثماني مهدداً لخطوط الإتصال الروسية في بلاد فارس، إلى درجة أدت إلى إصدار الأوامر إلى القوات الروسية بالانسحاب من المنطقة كلها، فدخلتها القوات العثمانية في السابع والعشرين من آذار ١٩١٥، وفي بضعة أيام كان أكثر مناطق آذربيجان في حوزة الأتراك الذين ضموا بين صفوفهم عدداً كبيراً من المقاتلين الكرّد غير النظاميين، فبات سكان الإقليم كلهم مسيحيهم ومسلميهم في خطر كبير، وذلك لأنه بُعيد الإنسحاب الروسي ظهرت عصابات عديدة من الأكراد في المنطقة المحيطة ببخيرة أورميه، وهو ما يعني تعرض سكانها النسطوريين إلى القتل والتشريد [٨، ص ٩٤].

## ٦ - سورما خانم والنساطرة ومغادرة حكاري

أصبحت قرية (ديز) وبعد وصول البطريرك إليها مكاناً يجتمع فيه كبار الجماعة النسطورية، من أساقفة ومطارنة ورجال دين وشيوخ عشائر، وكانوا يجتمعون في أحد البيوت التي إتخذت مقراً جديداً للبطريرك، وفيه إتخذ القرار الحاسم والخطير والذي عدّه البعض حدثاً تاريخياً لهذه الجماعة التي صارت تُعرف ذلك الوقت باسم (الطائفة الآشورية، أو الآشوريون)، وتمثل ذلك القرار بإعلانه مع جميع الحاضرين الحرب على الحكومة العثمانية وذلك في الثاني عشر من نيسان عام ١٩١٥، والسبب في ذلك هو المذابح الوحشية والتهجير القسري للمسيحيين إخواننا، فإننا نرى أنفسنا ملزمين على قطع علاقتنا مع الباب العالي، واستعدادنا للدفاع عن أنفسنا [١٠، ص ٢٤٣].

تركزت سورما خانم ومعها قافلته التي جاءت معها إلى جمباد ملك، مضافاً إليها الفارين من قري تباري السفلى والعليا، وتحت ضغط القوات العثمانية متجهة نحو دير (مار عوديشو)، الواقع في موطن عشيرة باز الصغيرة، وذلك في أواخر شهر حزيران عام ١٩١٥، وأثناء هذا التوجه اضطرت النساء إلى التخلي عن بعض الأمتعة والحوائج من ملابس وأغطية، بسبب ثقلها ووعورة الطرق وطولها والتعب الذي نال منهن، وأقاموا في تلك المنطقة حوالي الثلاثة أشهر، كانوا فيها دوماً على أهبة الإستعداد للمغادرة الفورية فكان الجميع ينامون بملابسهم الإعتيادية، مما يوفر لهم الوقت الكافي للهروب بسرعة، وحاول المارشعون التحرك نحو سالماس (في بلاد فارس) من أجل مواجهة القوات العثمانية، وفي الطريق إستلم رسالة من والي الموصل (حيدر بيك)، يُخبره بأنه صدر القرار بإعتبار منطقة تباري منطقة عمليات عسكرية، وأن أخوك (هرمزد) أسيرٌ عندنا، وإذ لم تعطِ الأوامر لإتباعك بالإستسلام، فإننا سنقوم بإعدامه، فكان جوابه: (أبناء شعبي كلهم إخوة حقيقيون لي، وعددهم كبير جداً، وأخي هرمزد لا يمثل إلاّ فرداً واحداً من كل هذا المجموع، فليكن ضحية بريئة نقدمها لخالص الشعب كله). وكان النساطرة المقطوعوا الأوصال والمجتمعون في الهضاب الجبلية العليا، والتي كانت تشكل المراعي الصيفية لمواشيهم، وينظرون أنفسهم جماعات محاطة بالأعداء، لا يمكنها أن تعيش في تلك الهضاب خلال شتاء كردستان القارص، فكان الأمل الوحيد الباقي لهم هي المساعدة الروسية التي كانوا يوعدون بها دائماً إلاّ إنهم لم يوفوا بذلك، فقام البطريرك وبصحبة سورما خانم مرة أخرى بترك شعبه في الجبال والذهاب الى أورميه لمقابلة الروس فيها، وناشدهم طلب المساعدة إلاّ أن القائد الروسي في المدينة (الجنرال سرجيكوف)، قال له: (سواء كان الأمر وعداً أو بدون وعد فإنه ليس في موقع أن يفعل أي شيء، وعليك البقاء في المكان الآمن الذي أنتم فيه، ونأمل منكم بأن لاترموا بحياتكم عبثاً في محاولة يائسة لتخليص شعبكم) [١٠، ص ٩٠]. وهنا أدرك البطريرك أنه يستبعد حصول المساعدة الروسية، وعليه الإعتماد على المقاتلين المسلحين الذين معه في إنقاذ أنفسهم، وهو ما حصل بالفعل، إذ قام بتحريك كامل لقواته وبشكل

مفاجيء على جزء من خطوط أعدائه المحاصرين لهم، حيث لا يمكن القيام بأي هجوم من هناك، وبعد عدة عمليات دفاعية، فإنهم تمكنوا من تخليص الباقين والوصول بهم إلى ديليمان المركز الإداري الرئيس لمدينة سالماس، وهو ما يعني أنهم صاروا خلف خطوط القوات الروسية التي كانت هدفهم ومكان اللجوء الآمن لهم، وكانت تلك القوات تابعة لجحافل الفيلق السابع من الجيش الروسي المستقل والمتمركز في القوقاز [١، ص ٩٢]. واستناداً على هذا الواقع الفعلي المرير، قرر البطريرك رفض الإبقاء على سلطته الروحية فقط بحسب التخطيط الموضوع من قبل السلطات العثمانية لتتمكن من تنفيذ مخططاتها الهادفة إلى القضاء على النساطرة بمجازر منظمة، ولأنهم تحت رعايته فإن الآلاف منهم (بحدود الأربعين ألفاً)، هلكوا بسبب الظلم العثماني المعتمد على القتل والذبح والإعدام من جهة، وعلى السلب والنهب والإغتصاب والتدمير الشامل من جهة أخرى، وكل هذه الجرائم كانت تحصل يومياً وبدون إستثناء أو تحفظ أو اعتبارات خاصة، فشملت الجميع رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً [١، ص ٩٣] والمدافعون الشجعان الذين دافعوا عن مناطقهم في حكاري، أصبحوا اليوم ضحايا، أذلاء لا يقوون على المقاومة أو الدفاع عن أنفسهم، ونصفهم هلك وهو يحمي الفارين والهاربين أو توفي بسبب الأمراض التي فتكت بهم، فتركت جثثهم ملقاة على قارعة الطريق دون أن توارى الثرى، وأصبح النصف الثاني غريباً عن أوطانهم الأصلية، لينتهي بذلك وعلى تعبير أحد القساوسة النسطورية (المشهد الأول من المأساة النسطورية) [١، ص ٩١].

وخلال أربعة موجات من اللاجئين تم طرد مائة ألف نسطوري من المستوطنات الجبلية في حكاري العثمانية، وصل منهم بحدود أربعين ألفاً إلى أورميه، التي عاشوا فيها في هدوء نسبي إرتبط وإلى درجة كبيرة بتواجد القوات الروسية في هذه المناطق. وأنتهى بذلك عام ١٩١٥، والذي أسماه النساطرة (شاتا دسيبا)، ومعناه باللغة السريانية عام السيف أو سنة ضرب الرقاب بحد السيف، وأعطت الأحداث السياسية العالمية الجارية للنساطرة قليلاً من الأمل، ففي مطلع العام ١٩١٦، لم تعد الدولة العثمانية قادرة عسكرياً على حماية حدودها، لكن المفاجأة حصلت للنساطرة بتنازل القيصر الروسي نيقولا الثاني (١٨٢٥-١٩١٧) عن العرش تاركاً التشتت والفوضى في صفوف الجيش الروسي، وكان للإسحاب الروسي غير المتوقع أثراً سلبياً كبيراً لدى البريطانيين المتمركزين في جنوب بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين المجاورة، والذين كان إهتمامهم مرتكزاً على الحفاظ على طرق سالكة وأمينه بإتجاه القارة الهندية (مقر إمبراطوريتهم التي لا تغيب عنها الشمس) ويتعاون كافة الدول المتحالفة، وفي كانون الأول عام ١٩١٧، دخل الأتراك والروس في مفاوضات أسفرت عن عقد إتفاقية (بريست- ليتوفسك Brest-Litovsk)، ونصت على أنه وإطلاقاً من مبدأ الحرية والاستقلال للإمبراطورية الفارسية المحايدة، فإن الدولتين (روسيا والدولة العثمانية)، تتهيأن لسحب قواتهما من فارس، ومع ذلك رفضت كل من ألمانيا والدولة العثمانية تنفيذ هذه الإتفاقية بسبب عمليات قوات الحلفاء ضدّهم في العراق وفارس، وبسبب دعم الحلفاء للأرمن والجورجيين في القوقاز، والنساطرة في فارس، فأصبح الأتراك وبسبب الأحداث في روسيا قادرين على إستعادة أغلب الأراضي التي فقدوها في الأناضول، على الرغم من الجهود التي كان الروس يقدموها للنساطرة من أجل الإمساك بالخط الواصل بين الحدود العثمانية والفارسية [١٠، ص ٢٥٥].

أجبرت أوضاع النساطرة العامة، سورما خانم على الأقتراب من مقر البعثة الأمريكية، إذ إتخذت الإجراءات لعقد إجتماع مهم جداً لمناقشة أمور النساطرة القادمة ومستقبلهم، وكانت آمالهم كبيرة بنتائج الإجتماع، الذي عقد في بناية البعثة الأمريكية في أورميه، وحضره كل من الدكتور شيد (رئيس البعثة الأمريكية)، رئيساً له، ونائب القنصل الروسي فيها (باسيل نيكتين)، والمطران سونتاك (رئيس البعثة

اليغازية) [١، ص ١١٤] في أورميه، والضابط الفرنسي العقيد (كاسفيلد Casfield)، والذي وصل المدينة في ٢٥ كانون الأول ١٩١٧، لتشكيل أفواج جديدة من النساطرة، والدكتور (بول كوجول Paul Caujole)، رئيس البعثة الطبية والإسعاف الفرنسية، التي ارتبطت سابقاً بالقوات الروسية العاملة منذ العام ١٩١٦، والضابط البريطاني (كرايسي)، فضلاً عن المار شمعون (البطيريك النسطوري)، وأخته سورما خانم، وخبّمت أجواء القلق على الإجتماع، بسبب الصعوبات التي تواجهه، وخاصة في ما يخص حيادية الفرس تجاه النساطرة، فيما أكد البطيريك وبكل وضوح أن هناك حاجة ملحة لتدخل قوات الحلفاء مباشرة، والتعويض عن القوات الروسية المنسحبة، الأمر الذي وافق عليه كرايسي، عندما خاطب المجتمعين جميعاً مُركزاً على البطيريك وأخته قائلاً: (أرجوا أن لا ينسى النساطرة أن كفاحهم هو من أجل تحقيق حريتهم، لذا فمن واجبهم الإلتفاف حول زعيمهم الأعظم (البطيريك)، طالما ليس هناك نسطوري فارسي ونسطوري جبلي، والجميع سيكونون شعباً واحداً، وهذا ما أوفدنتي حكومتي لأبلغكم به، وهذا يعني أيضاً الشعوب الصغيرة الأخرى، فالجميع يحاربون من أجل حريتهم، وهذا ما أبلغته للأرمن، وجميع النفقات سينكفلها الحلفاء، وهو ما تم الإتفاق عليه مع الحكومة الروسية الجديدة، وبهذا فإنكم ستحصلون على السلاح والذخيرة والمعونة العسكرية، وستبسطون سيادتكم على موطنكم الغني بثرواته وخيراته فهو موطن العسل واللبن، وستكون تضحياتكم وبطولاتكم ثمناً لحريتهم التي هي هدف ثمين) [١٤، ص ١٣٩].

واقفت بعض القبائل الكردية والعشائر النسطورية على أن تصبح قوة مقاتلة منضبطة تقبل العمل النظامي وإطاعة الأوامر والتعليمات، كما وتآمر بعض الفرس وبالتعاون مع العثمانيين من أجل السيطرة على المناطق النسطورية، فضلاً عن أن هناك بعض الثوار الأرمن الذين شكّلوا وحدات عنيدة وصامدة إلى الشمال من أورميه، وكل هذه الأمور سهلت على كرايسي التفاوض على تشكيل تحالف يجمع بين النساطرة والأرمنيين وإسماعيل أغا (سمكو)، زعيم عشيرة الشكاك الكردية، والذي كانت منطقتهم (قتور)، تمتد على مساحة واسعة شملت منطقة الحدود العثمانية-الفارسية الممتدة من شمال أورميه باتجاه تبريز، ذات الأهمية الأستراتيجية الكبيرة للمصالح البريطانية والروسية، لحماية ذلك الجزء من بلاد فارس من هجمات الأتراك العثمانيين [١٩].

وبعد أن حطّت الحرب العالمية أوزارها بانتصار الحلفاء، بقي الذين خسروا الحرب محتفظين بمواقعهم وساكنين القرى والمدن المحتلة من دون أن يعيدوا للنساطرة (الأشوريين)، وبتأثير الحلفاء المنتصرين الذين سبقوا وأن وصفوهم (بالحليف الصغير)، وطنهم الأصلي وقراهم وأملأهم التي فقدوها بسبب مشاركتهم في الحرب إلى جانبهم، أما المستقبل فترك للمجهول، وحسب رأي النساطرة فإن أستراتيجية الدول الكبرى كانت ذاهبة في إتجاه معاكس لما يأملون والذي ظنوه بأنه الأصلح، وتدرجياً توجه النساطرة نحو الأراضي المنخفضة من العراق، وذلك بدءاً من ٢٢ تشرين الأول ١٩١٨، وعندما وصلوا بعقوبة الواقعة على نهر ديالى وعلى بعد (٥٥ كم) شمالي شرقي بغداد، قرر البريطانيون إسكانهم على الضفة اليسرى من النهر الذي منابعه تقع في جبال زاكروس، وكانت هذه المنطقة بمثابة هبة السماء لأولئك المنفيين عن وطنهم، إذ أنشأ البريطانيون لهم مدينة تكونت من ثلاثة آلاف خيمة، كانت الأولى من نوعها من السكن المشيد في تلك المنطقة، وسكن المنفيون في هذا المخيم على شكل ثلاث مجموعات مختلفة من الجبليين القادمين من الاراضي العثمانية وعددهم (٢٥ ألف نسمة)، وصنفت هذه المجموعات على ثلاثة أقسام، ويتكونان من النساطرة والأرمن، واستخدم ذلك النوع من المخيمات في الهند وفي بعض الأحيان في أوربا، ووصل أفراد العائلة البطيركية إلى بعقوبة مع الجماهير المنفية الهاربة في نهاية عام ١٩١٨، وكانوا بحراسة عسكرية بريطانية



بإمرة الكابتن جورج ريد، أحد أعضاء البعثة التبشيرية الأنجليكانية في أورميه، والذي أصدر أمر المخيم العميد الركن (هيبيرت هنري أوستن)، بضرورة إرتباطه بقيادته مباشرة، فأصبحت خدماته وإمكاناته بأجمعها تحت تصرف القيادة العامة للمخيم، التي استطاعت إقناع جميع اللاجئين بأنهم سيحصلون على ما يريدون لأنهم واقعون تحت الحماية البريطانية [١، ص ١٣٦].

## ٧- الخاتمة

توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات التي يمكن إيجازها بالآتي:-

- ١- بسبب تعدد الكنائس والطوائف المسيحية المختلفة، أصبح بقاء الجماعة النسطورية على قيد الحياة وفي أغلب الأحيان يتم في تقارب جغرافي وهو أمر كثير الحدوث في الشرق، لكن أفراد النساطرة واقع يندر حصوله فتواجههم إنحصر في الجبال الشاهقة إذ تمتعت قبائلهم بالحرية.
- ٢- كان أولئك المسيحيون يعيشون كأقلية مسيحية صغيرة بوسط مجتمع مسلم سني (بالنسبة للنساطرة الذين عاشوا في جبال حكاري العثمانية)، أو شيعي (بالنسبة الى المسيحيين الذين عاشوا في حوض بحيرة أورميه الفارسية)، لكن رغم ذلك بقوا محتفظين بلغتهم وعاداتهم وكأنهم يعيشون في جزيرة صغيرة منعزلة، يتكلمون بلغتهم الأصلية رغم التواجد الفعلي في أحضان ربوع كردستان الواسعة والتي هي لغويا واجهة للعالم الفارسي.
- ٣- وقعت الكنيسة النسطورية فريسة سهلة في يد البعثات التبشيرية الأجنبية المختلفة المذاهب كالروس الارثوذكس، والرومان الكاثوليك الفرنسيين، والإنكليز الأنجليكانيين، والأمريكيين البروتستانت، وبذل كل منهم وما يزال أقصى الجهود لجر أتباع الكنيسة النسطورية إلى ما يراه بأنه أفضل شكل من أشكال المسيحية.
- ٤- عانت الامبراطورية العثمانية وبفعل الضغط الخارجي ومطامع القوى العظمى، من متاعب داخلية كثيرة وفجائية، كما وشكلت القوات الروسية في إقليم آذربيجان الفارسي تهديدا كبيرا بالنسبة للعثمانيين وهو ما أثر سلبيا على أوضاع النساطرة بشكل عام.
- ٥- إستمرت معاناة النساطرة اللاجئين في أورميه الفارسية، فقد تعرضت بيوتهم التي كانت من دون أبواب أو شبابيك، والتي تهدم ثلثيها، ومؤنهم الغذائية التي حصلوا عليها الى النهب والسلب والسرقة والتخريب، وكانوا أكثر ما يخافونه ويخشونه هو انسحاب القوات الروسية، إذ كانوا يرتابون من جيرانهم المسلمين الذين جردوهم من ممتلكاتهم وأباحوا زوجاتهم وبناتهم وقتلوا الكثير من أقربائهم.

## CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

## ٨- المصادر

- ١- كليروبييل يعقوب، سورما خانم ١٨٨٣-١٩٧٥ السيدة الكلدو آشورية في قلب الاعصار المدمر الذي أجتاح بلاد ما بين النهرين، ترجمة نافع توسا، مراجعة وتحقيق وتقديم الأب د.يوسف توما مرقس، بغداد، شركة الأطلس للطباعة المحدودة، ٢٠١١، ص ٢٢.
- ٢- فرح الفرزلي، النساطرة في التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فرع التاريخ، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٩، ص ٢٢٣.
- ٣- آر مين أرشاويل، الكنيسة الشرقية في آسيا، السويد، دار سركون للنشر، ١٩٩٨، ص ١٣٣.

- ٤- جورج حبيب، بقايا دين قديم، ط٢، دمشق، دار مسناة للطباعة والنشر، ١٩٧٦، ص٦٦.
- ٥- كاظم حيدر، الأكراد، بيروت، منشورات الفكر الحر، ١٩٥٩، ص١٣٩.
- ٦- محمد فؤاد خليل، التبشير الأمريكي في منطقة الخليج العربي ١٨٩٠-١٩٦٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية بالفيوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٢.
- ٧- أحمد تاج الدين، الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠١، ص٤٨.
- ٨- هاري سونتاك، السريان المسيحيون، ترجمة أنطوان حراني، ج١، بيروت، النادي الثقافي للترجمة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦، ص١٢٧.
- ٩- وليام ووكر روكيل، هروب الآشوريين المسيحيين في فارس وكرديستان المثير للشفقة، ترجمة نجم الدين أوغلو، نيويورك، العلوم للنشر والترجمة، ١٩٦١، ص٦٨.
- ١٠- علي طالب عبيد السلطاني، نساطرة كردستان دراسة في أوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية ١٨٣٩-١٩١٨، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٥، ص٤٨.
- ١١- جوناى تومر، التبشير كقوة مساندة للإستعمار في القرن التاسع عشر، ترجمة حسن نضال، دمشق، الإعلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص٨٢-٨٤؛ توماس بارلي، السريان والكلدان حقيقة الإسم والعقيدة، ترجمة صابر رحمه، برلين، مطبعة نوار، ١٩٣٣، ص٢٠٤.
- ١٢- فارس حسن مراد، المسيحيون الى اين، بيروت، نور للطباعة والنشر، ٢٠٠١، ص٧٢.
- ١٣- باسيل نيكتين، المشكلة الآشورية، ترجمة ايزابيل بنيامين ماما، ج٢، باريس، ١٩٣٣، ص١٦٩.
- (14) W.A. Wigram, An Introduction to the Assyrian Church, (London, 1910). P. 89.
- (15) Paul Shimon , Massacres of Syrian Christians in North West Persia and Kurdistan, New York, 1916, P. 144.
- (16) Report, (ABCFM), Re, No. 74, (Hakkari: The exodus of the Assyrians in the Summer of 1914 by Paul Shimmon).
- (١٧) إشبو مالك خليل جوارو، الآشوريين في التاريخ، ترجمه عن الإنكليزية، سليم واكيم، بيروت، ١٩٦٢، ص١٨٢.
- (18) Reports, (ABCFM), Re, No. 63, (Letter from the Deacon Yohannan min Beth Lelaita marbisho in Tergawar (Kurdistan) to his son Toma min Beth Kelaita in Berlin dated 24 August 1915).
- (19) Reports, (ABCFM), Re, No. 21, (Shemon-Malek Ismaels Diany ), (Tiara Hakkari)